معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (22)

التاريخ: الخميس 24 /ربيع الأول/1441 هـ

21/ نوفمبر/2019 م

الدرس الثاني والعشرون من "القواعد المثلى"

قال المؤلف رحمه الله: (**المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنّه قال: "من تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"**).

"من تقرّب مني شبراً"

الشبر معروف، عندما تفتح يدك؛ المسافة من رأس الإبهام إلى رأس الخنصر هي الشبر.

"تقرّبت منه ذراعاً"،

الذراع الذي يبدأ من طرف المِرْفَق إلى طرف الإصبع الأوسط إذا مددت كفَّك، فيكون تقريباً في حدود نصف متر أو أكثر قليلاً.

"ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً"

الباع: إذا مددت يديك يميناً ويساراً، فسيكون الباع من طرف يدك اليمنى إلى طرف يدك اليسرى مع صدرك مع العضدين، كلّ هذا يسمى باعاً، فيكون تقريباً مترين.

هذا الحديث حديث قدسي قال فيه الله سبحانه وتعالى" :من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

قال الشيخ: (**وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي ذرّ[1] رضى الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً[2]، وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه[3] في كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر.**

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدّالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى)

الأفعال الاختيارية: يعني الأفعال التي يفعلها الله تبارك وتعالى باختياره، متى شاء؛ كالنزول مثلاً والاستواء على العرش والمجيء والإتيان وما شابه،

1- (2687)

2- (2675)

3-(2705) وكذا عند البخاري عن أنس نحوه برقم (7536)

هذه أشياء كلّها يفعلها الله سبحانه وتعالى متى شاء.

قال: (**وأنّه سبحانه فعّال لما يريد**)

لا شكّ في ذلك، فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد.

قال: (**كما ثبت ذلك في الكتاب والسّنة، مثل قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[1]، وقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}[2]، وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ}[3]**)

إذاً هنا (يأتي) الله سبحانه وتعالى وهذا من الأفعال الاختيارية، وكذلك المجيء، يجيء الله سبحانه وتعالى وهذا أيضاً من الأفعال الاختيارية.

قال: (**وقوله: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**)

الاستواء أيضاً من الأفعال الاختيارية.

قال: (**وقوله ﷺ: "ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر"[4]**)

فنزوله إلى السماء الدنيا أيضاً من الأفعال الاختيارية، والهرولة مثل ذلك.

قال: (**وقوله ﷺ: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلّا الطيب- إلّا أخذها الرحمن بيمينه"[5].**

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدّالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى)

الشاهد من الحديث الأخير قوله: "**أخذها الرحمن بيمينه**"، فالأخذ هذا من فعل الله تبارك وتعالى، يفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء، وكذلك صفة الهرولة مثل ذلك أيضاً على ما ذكر المؤلف رحمه الله.

قال: (**فقوله في هذا الحديث: "تقربت منه"، و: "أتيته هرولة" من هذا الباب**)

فالتقرب إليه والهرولة من الأفعال الاختيارية.

1- [البقرة:186]

2- [الفجر:22]

3- [الأنعام:158]

4- أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758)

5- أخرجه مسلم (1014) عن أبي هريرة

قال المؤلف رحمه الله: (والسلف أهل السّنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله عزّوجلّ من غير تكييف ولا تمثيل)

يعني: أنّهم يثبتون صفة الهرولة، ويثبتون أيضاً لله سبحانه وتعالى أنّه يتقرب من عبده.

قال: (قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول (ص 466، ج 5) من "مجموع الفتاوى": "وأمّا دنوّه نفسه وتقرّبه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر" أ.هـ)

إذاً لا يتأول أهل السّنة هذا الحديث ويجرونه على ظاهره، ويثبتون هذه الصفات الفعلية لله سبحانه وتعالى، وليس في ذلك نقص في حقّ الله سبحانه وتعالى، فهي كبقية الأفعال الاختيارية، والقول فيها ما قدّمناه في بداية هذا الكتاب.

قال المؤلف: (وأيُّ مانِعٍ يمنعُ من القولِ بأنه يتَرَبُ من عبده كيف يشاءُ مع علوِّه؟ وأيُّ مانعٍ يمنع من إثباته كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟ وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟)

ثم قال: (وذهب بعض الناس إلى أنّ قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: "أتيته هرولة"، يُراد به: سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه، المتوجِّه بقلبه وجوارحه، وأنّ مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل)

يعني أن المسألة ليس فيها قول واحد عند أهل السّنة، بل فيها قولان، وانتبهوا هنا بارك الله فيكم لهذه المسألة، ذكر المؤلف هنا مذهباً ثانياً في هذا الحديث عند أهل السّنة والجماعة، فالخلاف بينهم وليس مع أهل البدع، ربّما يكون الخلاف مع أهل البدع إذا نفوا هذه الصفات، صفة الهرولة وصفة التقرّب هذه، إذا نفاها أهل البدع بدعوى أنّه يلزم منها التشبيه، عندئذ يكون الخلاف خلافاً بين سنّي وبدعي، لكن إذا كان الخلاف سببه هو الاختلاف في ظاهر الحديث، فهنا يكون الخلاف بين أهل السّنة أنفسهم، هل ظاهر الحديث يثبت صفة الهرولة أم ظاهر الحديث بخلاف ذلك؟

هذا محل الخلاف بين أهل السّنة، وأخشى يوماً من الأيام أن يأتي البعض ويجعل هذه المسألة

محل الولاء والبراء مطلقاً بدون تفصيل، بل لا بدّ أن تفصّل هذا التفصيل:

- إذا أنكرت صفة الهرولة بدعوى أنّ ذلك يلزم منه التشبيه فهذا على طريقة وأصول المبتدعة المتكلمين،
- أمّا إذا قلت: لا، أنا لا أقول بهذا، لو أنّ النص كان ظاهراً في ذلك لأثبتّها لكنني لا أوافق بأنّ النّص ظاهره هذا،

فهذا الخلاف معه خلاف في فهم الحديث وليس خلافاً في سنةٍّ وبدعةٍ.

انظر الآن ماذا قال المؤلف في المذهب الثاني؛

قال المؤلف: (**وذهب بعض الناس**)،

إذاً هذا القول الثاني وهو أنّ صفة الهرولة لا تُثبَت لله، بل المراد منها الإسراع في المثوبة وفي الرحمة وفي الإقبال على العبد بذلك، هذا المقصود، وليس المقصود إثبات صفة الهرولة.

ربّما يقول قائل: طيب هذا هو قول أهل البدع؛ لأنّهم لا يثبتون صفة الهرولة لله سبحانه وتعالى، فنقول: لماذا لا يثبتونها؟ هو هذا الفاصل.

يقولون: (يلزم منه التشبيه)، هذا قول أهل البدع كما يقولون في بقية الأفعال الاختيارية، أمّا السّني فلا، فهو يثبت الأفعال الاختيارية لأنّها وردت فيها نصوص واضحة، ظاهرها واضح، لا إشكال فيها، أمّا هذا فلا يوافق معنا على أنّ الظاهر فيه إثبات صفة الهرولة، لا يوافق معنا في ذلك، إذاً هو أصوله أصول أهل السّنة ولكنّه يختلف معنا في فهم الحديث فقط، بخلاف المبتدع، أصوله فاسدة ونفى صفة الهرولة لا لأنّ ظاهر الحديث يقتضي ذلك، بل للفرار من اللازم الذي يدّعيه وهو التشبيه فيما يزعم.

إذاً لماذا هذا القائل يفسّر هذا التفسير للهرولة في الحديث؟

قال المؤلف: (**وعلل ما ذهب إليه: بأنّ الله تعالى قال في الحديث: "ومن أتاني يمشي"، ومن المعلوم أنّ المتقرّب إلى الله عزّوجلّ، الطالب للوصول إليه، لا يتقرّب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد، ومشاعر الحجّ، والجهاد في سبيل الله، ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنّ أقرب ما**

يكون العبد من ربّه وهو ساجد[1]، بل قد يكون التقرّب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}[2]، وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: "صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب"[3])

إذن المهم في الموضوع، لتفرّق بين السلفي والمبتدع في هذا القول، أن ننظر إلى علته، ما هي العلّة عندك في هذا الأمر؟

قال: (وعلل ما ذهب إليه بأنّ الله تعالى قال في الحديث..)،

إذن يريد أن يقول هنا: ما الذي جعلك تفسّر الهرولة هنا بأنّها الإسراع في الأجر والإسراع بالرحمة وما شابه؟

يقول: تأمل الحديث من بدايته، ماذا يقول الله سبحانه وتعالى فيه؟

قال: "من تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"، فالهرولة كانت في مقابل الإتيان مشياً، أي: أنّ العبد كلّما أسرع إلى الله تبارك وتعالى بالطاعات كلّما كان الله سبحانه وتعالى أسرع منه في رحمته وفي مثوبته، هذا معنى الحديث.

يقول هذا القائل: هذا هو ظاهره، لماذا قلت هذا هو ظاهره؟ قال: لأنّ العبد عندما يتقرّب إلى الله لا يتقرّب إليه بالمشي فقط، بل ربّما يتقرّب إليه وهو في مكانه كالساجد: "أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد" لا يمشي، فأنواع القُرَب مختلفة وليس كلّها مشياً، ولا شكّ أنّ المراد بهذا الحديث جميع أنواع القرَب، كلّما تقرّب العبدُ إلى الله بالقُرَب أكثر وأسرع كلّما أثابه الله وآجره على ذلك بأسرع مما أسرع هو، فبما أنّ هذا هو المقصود، إذاً هذا هو ظاهر الحديث، كما فسّرنا في السابق أنّ الظاهر يُفهم بسياقه فمعه قرائن تدلّ على المعنى المراد منه، إذاً لا إشكال.

1- أخرجه مسلم(482) عن أبي هريرة بلفظ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"

2-[آل عمران:191]

3- أخرجه البخاري(1117)

قال الشيخ: (**قال: فإذا كان كذلك، صار المراد بالحديث: بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأنّ من صَدَق في الإقبال على ربّه وإن كان بطيئاً، جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل، وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه**)

إذن صار الظاهر عنده مختلفاً عن الظاهر عندنا بالقرينة،

إذاً الخلاف بيننا وبين هذا المخالف في فهم الظاهر، وهو سنّيّ سلفي وليست مشكلته في أنّ صفة الهرولة هذه من الصفات الفعلية التي إن أثبتناها لله نكون قد شبّهنا الله بخلقه، لا، فهذا قول أهل البدع وهو يتبرّأ من هذا، ولكن عنده ظاهر الحديث خلاف ما ذهبنا إليه وعنده من السلف من قال بهذا المعنى، وهذا القول هو اختيار العلامة صالح الفوزان حفظه الله، ولاحظ ماذا سيقول المؤلف حيث إنّه جعل المسألة فيها سعة كما سيأتي إن شاء الله.

قال: (**وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره، ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجّة لهم على أهل السّنة، ولله الحمد**)

انظر كيف أن الشيخ رحمه الله أدخل أصحاب هذا القول في أهل السّنة، فانتبهوا بارك الله فيكم، لا تتعجلوا في الأحكام على الناس، اليوم والله هناك فوضى كبيرة جداً في الأحكام على النّاس، وهناك غلوّ وشدّة، وهناك ميوعة وفي أشياء كثيرة، نسأل الله العافية، والموفَّق من وفّقه الله سبحانه وتعالى.

انظر الآن إلى الذين يقولون: بأن من قال: الضمير في قوله عليه السلام: "خلق الله آدم على صورته" يعود إلى آدم فهو جهمي، يقولون هذا مطلقاً، افهم كلام السلف يا أخي، لماذا قال السلف هذا؟ لماذا قالوا: من قال بأنّ الضمير يعود إلى آدم فهو جهمي؟ التعليل هذا مهم جداً، لا تكن ظاهرياً جامداً لا تفقه إنّما تسمع كلاماً وترده، لماذا قالوا هذا؟

لأنّ الضّال المبتدع لا يقبل أن يثبت مثل هذه الأحاديث لأنّها عنده تستلزم التشبيه فيُعطِّل لأجل هذا اللازم؛ لذلك قالوا هذا القول.

لكن لو جاء عالم جليل سلفي فاضل وأثبت الصورة لله سبحانه وتعالى في حديث آخر، لكنّه تأول في هذا الحديث، وقال: ظاهره بأنّ الضمير يعود إلى آدم ولا يعود إلى الله سبحانه وتعالى، ليست مشكلته مع نفي الصفة ولا يقول: إن أثبتناها يلزم من ذلك التشبيه، هو سني وأصوله

سنّيّة سلفية، ولكن خالفنا في أنّ ظاهر الحديث هو ما ذهبتم إليه،
الخلاف معه خلاف في فهم ظاهر الحديث وليس خلافاً في العقيدة، لأنه يثبت الصورة لله سبحانه وتعالى، يثبت الصفة، ليس هناك مشكلة، هو أثبت الصفة في حديث آخر، إذاً انتهى الأمر، لماذا تكبير الأمور وتعظيمها، والتسبب في تفريق الصّف السّلفي من أجل مسائل هي محلّ اجتهاد، إذن هو لم يخالفْنا في العقيدة، هو يثبت الصورة كما نثبتها نحن، لكن خالف في فهم الحديث وإنْ كان مخطئاً ونحن نعرف أنّه مخطئ؛ لأنّه كان اللازم في مثل هذا التقيد بما فسّره عليه السلف رضي الله عنهم، هذا هو الواجب، لكن هل يصل هذا إلى حدّ تبديعه وتضليله؟ نعوذ بالله، أبداً، الخلاف الذي ينبني عليه التبديع والتضليل ولا نبالي إن حصل تمزق وتشتت بعد ذلك بسبب هذا الظرف؛ فالمخالف هو الذي يمزق ويشتت الصف؛ لأنه مبتدع، يعرفهُ العلماء الأكابر؛ لذلك نقول: ارجعوا إليهم في مثل هذه القضايا وانظروا ما يقولون.

قال المؤلف رحمه الله: (**وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر**)
يعني له وجه في الاجتهاد.

قال: (**لكنّ القول الأول أظهروأسلم وأليق بمذهب السلف**)
إذاً فالمؤلف يبيّن أنّ هذه المسألة محلّ اجتهاد وللقول الآخر نصيب، أي ليس قولاً شاذّاً منكراً، بل هو اجتهاد وقوي شيئاً ما لكنّ الشيخ يرجّح خلافه.

قال: (**ويُجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى، وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي: بأنّ الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه، بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي، والله تعالى أعلم**)
طبعاً ربّما يقول الطرف الآخر: هذا خلاف الظاهر وهذا تأويل.
وعلى كل حال: المسألة كما ذكرنا لكم والتفصيل فيها هو ما ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله: (**المثال الثالث عشر: قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ**

أَيْدِينَا أَنْعَاماً}[1].

والجواب: أن يُقال: ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها، حتى يقال: إنّها صرفت عنه؟

هل يُقال: إنّ ظاهرها أنّ الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

أو يُقال: إنّ ظاهرها أنّ الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، لم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم؟

أمّا القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:)

يعني: أنّ الله خلق الأنعام بيديه.

قال: (أحدهما: أنّ اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}[2]، وقوله: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بعض الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[3]، وقوله: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ}[4]، فإنّ المراد: ما كسبه الإنسان نفسه وما قدّمه، وإنّ عمله بغيريده، بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي، كما في قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}[5]؛ فإنّه يدلّ على مباشرة الشيء باليد)

يعني: دخل حرف الباء على اليد فهنا تكون اليد الحقيقية ولا شكّ، بخلاف الصورة الأخرى.

قال: (الثاني: أنّه لو كان المراد أنّ الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده، لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً، كما قال الله تعالى في آدم: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}[6]؛ لأنّ القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ"}[7]

1-[يس:71]

2- [الشورى:30]

3- [الروم:41]

4- [آل عمران:182]

5- [البقرة:79]

6-[ص:75]

7- [النحل:89]

وإذا ظهر بطلان القول الأول، تعيَّن أن يكون الصواب هو القول الثاني، وهو: أنّ ظاهر اللفظ أنّ الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية)

يعني: هذا هو الأسلوب العربي.

قال: (بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعُدِّي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق؛ فإنّ التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات)

يعني: الفرق أن يضيف اليد إلى نفسه ويعدّيها بالباء يعني يدخل عليه حرف الباء، هذا مهم جداً.

قال: (المثال الرابع عشر: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}[1]

والجواب: أن يُقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}، وقد أخذ السلف أهل السّنة بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}[2]، ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} أنّهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أنّ ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حقّ الله تعالى، وإنّما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له؛ لأنّه رسوله، وقد بايع الصحابةَ على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنّه رسوله المبلغ عنه، كما أنّ طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[3]، وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ

1- [الفتح:10]

2- [الفتح:18]

3- [النساء:80]

وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمها، ورفع شأن المبايعين، ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

الجملة الثانية: قوله تعالى: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}[1]، وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها؛ فإنّ يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأنّ يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم)

لكن لا يلزم من ذلك المُماسّة، كما تقول: القمر فوقنا، هل يلزم من ذلك أن يكون مماسّاً لرؤوسنا؟ لا، إذاً عندما يقول: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ والله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه إذاً فيده فوقهم.

قال: (وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة له عزوجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جلّ وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنّه يُقال: السماء فوقنا، مع أنّها مباينة لنا بعيدة عنا، فيد الله عزّوجلّ فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته تعالى لخلقه، وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أنّ المراد بقوله: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يد النبي ﷺ ولا أن يدعي أنّ ذلك ظاهر اللفظ؛ لأنّ الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنّها فوق أيديهم، ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم)

إذاً تبيّنَ من ذلك وجود الفارق بين يد الله سبحانه وتعالى ويد نبيّه عليه الصلاة والسلام.

قال المؤلف رحمه الله: (المثال الخامس عشر: قوله تعالى: في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني" الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض، من كتاب البرّوالصلة والآداب رقم 43 ص1990 ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

1- [الفتح:10]

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا ربّ، وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا ربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

والجواب: أنّ السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنّما فسّروه بما فسّره به المتكلم به، فقوله تعالى في الحديث القدسي: "مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك" بينه الله تعالى بنفسه، حيث قال: "أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض، وأنّه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان"، وهو صريح في أنّ المراد به مَرَضُ عبدٍ من عباد الله، واستطعامُ عبدٍ من عباد الله، واستسقاءُ عبدٍ من عباد الله، والذي فسّره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسّرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره؛ لأنّ ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنّما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحثّ، كقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ}[1].

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يُحرّفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى، ولا من سنّة رسوله ﷺ، وإنّما يحرّفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون، إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله كما زعموا لبيّنه الله ورسوله كما في هذا الحديث، ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسّنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يُحصى إلّا بكلفة، وهذا من أكبر المحال.

1- [البقرة:245]

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة؛ لتكون نبراساً لغيرها، وإلّا فالقاعدة عند أهل السّنة والجماعة معروفة، وهي: إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات، والحمد لله ربّ العالمين).

أظن أن كلام المؤلف هذا الذي تقدم كلّه واضح، وكلّه على ما تقدم من الأمثلة، وكلّها الجواب فيها متشابه، وبعد ذلك قس البقية على هذا، أي شيء يأتونك به ويقولون هو صرفٌ عن الظاهر قل لهم: الظاهر الذي ادعيتموه ليس بظاهر، ثم بيّنْ لهم الأمر؛ لأنّ ظاهر النصوص حقيقة دائماً مخالف لما عليه أهل الأهواء والباطل. والله أعلم

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁.